Website : www.uoajournal.com
E-mail : info@uoajournal.com

مجلة كلية المعارف الجامعة
Journal of AlMaarif University College

Epidemics and Literature (The Novel as A Model)

Ahmed G. Naef
Department of Arabic Language, Al-Maaref University College, Anbar, Iraq
dr.ah1975@uoa.edu.iq

ABSTRACT:

The literature in general and epidemiological literature especially represents the reflection of the health status of society and the health crises that the world has witnessed since ancient times. Those epidemics were the engine for many authors and novelists pens in particular. Thus, many novels touched on those diseases that caused violent shocks in the whole world, which left behind them many tragedies that remain stuck in the global memory. Since the novel is the most realistic literary art, it took the initiative to be the most prominent literary art that dealt with these topics and dealt with them, whether they were stories transmitted from reality or imaginary that predicted the future.

Keywords: Epidemics; Literature; Novel; Love; Tragedy

https://doi.org/10.51345/.v31i1.246.g141

Website : www.uoajournal.com
E-mail : info@uoajournal.com

مجلة كلية المعارف الجامعة
Journal of AlMaarif University College

الأوبئة والأدب (الرواية انموذجا)

أ.م.د. أحمد غالب نايف

قسم اللغة العربية،كلية المعارف الجامعة، الأنبار، العراق

drahmedghalib4@gmail.com, dr.ah1975@uoa.edu.iq

ملخص البحث

يمثل الأدب بشكله العام وخاصة أدب الأوبئة انعكاسا للحالة الصحية للمجتمع وما يمر بها العالم من أزمات صحية منذ القدم؛ حيث كانت تلك الأوبئة هي المحرك لأقلام الكثيرين من الأدباء والروائيين بشكل خاص، وتطرقت الكثير من الروايات إلى الحديث عن تلك الأمراض التي أحدثت هزات عنيفة في العالم بأسره، مخلفة وراءها الكثير من المآسي التي لا تزال عالقة برقعة الذاكرة العالمية. وبما ان الفن الأدبي الأكثر واقعية هي الرواية فنجدها اخذت المبادرة بان تكون أبرز الفنون الأدبية التي تناولت هذه الموضوعات وعالجتها سواء كانت قصص منقولة من ارض الواقع ام متخلية استشرفت المستقبل.

الكلمات المفتاحية: الأوبئة، الأدب، الرواية، الحب، المأساة.

https://doi.org/10.51345/.v31i1.246.g141

المقدمة

الأدب ابن واقعه لا يغادر كبيرة منه ولا صغيرة حتى يسجلها وبما ان الأدب الروائي هو الأدب الأكثر واقعية فكانت الرواية اول الفنون تسجيلا للاوبئة التي تصيب المجتمع سواء اكانت صحية ام فكرية ام اقتصادية فترصدها وتنقلها وتحذر منها وتطرح الحلول لها لا بل تسجل المواقف الإنسانية التي رافقتها ونحن اليوم بعد انتشار وباء كورونا او كوفيد 19 نبحث في الاعمال الروائية التي عالجت اوبئة واقعية ام متخيلة استشرفت الزمن لنستشفي او هو نوع من المؤاساة لانفسنا.

إنّ الأدب يصلح أيضًا لتوقيع نهاية الوباء وتحويل سواد العالم إلى مجرّد ذكرى سرعان ما تُنسَ، والنسيان ههنا أيضًا إنّما هو طريقة البشر في التغلّب على الكوارث التي تحلّ بهم.

قراءة في بعض الروايات التي تناولت الاوبئة

في ازمة الجائحة (كوفيد19) أو ما يسمى اختصارا بـ(كورونا) التي ضربت العالم من مشرقه وحتى مغربه ومن شمالها الى جنوبه ولم تستثن لا دولة متقدمة ولا متأخرة في الجوانب الصحية والثقافية ولا غنية ولا فقيرة وان اختلف تعامل المجتمع معها من عزل وحظر تجوال تام وتوقف الحياة بنواحيها كافة لأشهر وما رافقه من جمود اقتصادي وانهيار في أسعار الطاقة و وبين من استخدم حظر القطيع معتمدا على ثقافة مجتمعاتهم والتزامهم بضوابط الوقائية الصحية نجد بدا الانسان بالبحث عن ما يشغل وقت فراغه ويعده مهربا وعزاء وسلوى للنفس فضلا عن نوع من ثقافة الاطلاع.

يعد الأدب ابن بيئته كيفما تكون يكون ينقلها في فنونه وانواعه لذلك انطلق منظرو الفن بنظريتهم الفن في خدمة المجتمع لذلك نرى أي تغييرات ومتغيرات وكوراث واوبئة تصيب المجتمع بنواحيه كافة السياسية والاجتماعية والثقافية والصحية تجد الأدباء يتناولوها سواء بشعرهم ام بنثرهم.

وبما ان الفن الأدبي الأكثر واقعية هي الرواية فنجدها اخذت المبادرة بان تكون أبرز الفنون الأدبية التي تناولت هذه الموضوعات وعالجتها سواء كانت قصص منقولة من ارض الواقع ام متخيلة استشرفت المستقبل.

لذا ارتبط الأدب العالمي بالاوبئة التي اجتاحت العالم ومجتمعاته في القرون التاسع عشر والعشرين والواحد وعشرين مثل الطاعون والانفونزا الاسبانية والكوليرا والايدز في القرن العشرين و الإيبولا والكورونا في القرن الواحد والعشرين[1].

سنتناول هنا بعض اهم الروايات التي جعلت الأوبئة كموضوع لها ودارت احداثها ضمن هذه الازمة الصحية وما كنت تحمل من دلالات الامل بالشفاء وانتهاء الازمات رغم صعوبة المواقف وتجلي واضح للعاطفة التي سيطرت على اغلب الرويات وموقف الحزن والشعور بالياس وهذا الصراع الثنائي بين الامل والياس ويدفع الرواية بجمالية عالية فتتقلفها الايادي فنراها تنتقل من المحلية الى العالمية فتترجم لاكثر من لغة وتعد من الروايات العالمية ولم يلتزم الباحث بالتسلسل الزمني للروايات لان لكل رواية تدور احداثها ضمن مرض وبائي يختلف عن الاخر.

1- رواية الطاعون لالبير كامو:

ولد الفيلسوف الوجودي والكاتب المسرحي والروائي الفرنسي الجنسية ألبير كامو في قرية الدرعان المعروفة ببلدة مندوفى بالجزائر ضمن مقاطعة قسنطينة في 7 نوفمبر-تشين الثاني 1913م – ونوفى في 4يناير – كانون الثاني 1960م ، ولد يتيم الاب بعد مقتل والده -وهو في عامه الأول- اثناء الحرب العالمية الأولى، ومن ام اسبانية الأصل والجنسية معاقة تعاني من إعاقة الصم[2].

حصل الروائي على منحة دراسية في قسم الفلسفة/ كلية الاداب لتفوقه ونبوغه مكنته من اكمال تعليمه بجامعة الجزائر بعد ان انهاء دراسته الثانوية هناك[3].

لقد شارك الفرنسيين نضالهم من الاحتلال الألماني فاصدر نشرة باسم الكفاح تحمل اسم الخلية التي ينتمي اليها والتي تحولت فيما بعد الى صحيفة (الكفاح) اليومية بعد تحرير باريس واصبحت الناطق الرسمي للمقاومة الشعبية.

عكست اعماله المسرحية والروائية ما امن به من الفلسفة الوجودية والموت والحب والحرية والمقاومة والثورة، وبذلك يعد البير كامو ثاني اصغر اديب نال جائزة نوبل للآداب[4].

تعد رواية «الطاعون» التي تدور احداثها حول انتشار الوباء في مدينة جزائرية الا وهي مدينة وهران عام 1940 هذه المدينة الشهير بجمالها وروعة طقسها وطبيعتها الخلابة وتمازج ثقافاتها واطلالتها الجميلة على البحر الأبيض المتوسط مما أهلها لتكون ميناء مميزا فجعلها مدينة اقتصادية هامة والتي كانت محطة لمختلف الثقافات العربية والتركية والاسبانية والفرنسية بالتعاقب حسب الجيوش الغازية وقوتها لذلك تجد فيها الثقافة المشرقية امتزجت بالثقافة الاوربية.

اتخذ الاديب ألبير من الاحياء الاوربية في هذه المدينة مكانا لإحداث روايته لتحكي لنا كيف قام المسؤولون عن المدينة بإغلاقها لأشهر عدة للحد من إصابات وتفشي وباء يودي بحياة الكثير من سكانها[5].

وتحدث الرواية عن نكران المسؤولين المحليين في اول الامر وعدم اعترافهم بالأرهاصات الأولى للمرض وهي انتشار جثث الفئران النافقة والمصابة بالطاعون في الطرقات، ويعكس لنا الراوي، الدكتور برنار ريو، البطولة الكبيرة التي يقوم بها الجيش الابيض من الفرق الطبية، تلك البطولة الصامتة التي لا يعرفها الا من اقترب منهم وعمل معهم[6]، لقد رصد كامو تلاحمهم وتآزرهم رغم انتمائهم إلى طبقات اجتماعيّة مختلفة.

كما تناولت الرواية الكثير من الاحداث عن طريق السارد في الرواية الطبيب برنار ريو، والغريب جان تارو والتي كانت محورا في الاحداث والتي تعكس رؤية الكاتب لا يسعفنا حجم البحث لسرد الكثير من الاحداث.

وفي ختام الرواية فانها تحمل رسالة مفادها، بـ"أننا نعلم الآن أنه إذا كان هناك شيء يمكن أن يتوق له المرء دائما، ويناله أحيانا، فهو الحب الإنساني[7]".

2-رواية عيون الظلام للروائي الأمريكي دين كونتز

رواية عيون الظلام للروائي الأمريكي لدين كونتز الصادرة عام 1981م وهي رواية باللغة الإنكليزية – ترجمت حديثا للعربية – خيالية[8] اثارت كلاما كثيرا حولها خاصة بعد ان ظهر وباء كورنا المستجد والتي حملت في طياتها إشارة لفايروس يقضي على البشرية كسلاح بايلوجي يخرج من مدينة ووهان الصينية التي

يحمل اسمها ووهان 400 وان كانت في طبعاتها الأولى ان الفايروس الذي ينتشر في العالم من ينطلق من مدينة كوركي الروسية لكنها غيرت في الطبعة الأخيرة[9] إلى ووهان الصينية.

واذا عقدنا موزانة بين الفايروسين كورونا الواقعي ووهان 400 الخيالي او الافتراضي في الرواية رغم التقارب الحدثي والمكاني في انطلاق هذا الفايروس من مركز الأبحاث الوطنية الصينية في ووهان وسرعة انتشاره وقضاءه على البشرية بنسبة عالية الا انه يختلف عن كورنا الذي كما يزعم العلماء بانه انتقل من الحيوانات الى البشر بعد ان طوره نفسه، فضلا عن ان كون كورنا لم يقض الا على 2 ٪ من المصابين في العالم كله في حين ان الفايروس الافتراضي يقضي على البشرية بما يقارب 99 ٪ وانه يصيب خلايا المخ اذ ينتقل الفيروس إلى جذع الدماغ، وهناك يبدأ في إفراز مواد سامة تتلف الدماغ فانه يدمر مركز الدماغ المسؤولة عن وظائف الجسم كما يختلفان أيضا بسرعة الإصابة اذ نجد ان كورونا الحقيقي تتراوح مدة الإصابة وحتى الشفاء ما بين 14-28 يوم في حين ووهان 400 الافتراضي لا تتجاوز مدة الإصابة فيه ووفاة المصاب الا اثنتا عشرة ساعة فقط.

تتحدث الرواية عن ام تبحث عن ابنها المتوفى وسبب وفاته لتكتشف ان ابنها لا يزال حيا لكنه قد حقن بفايروس ووهان 400 من قبل الجيش الأمريكي وتحويله الى سلاح فتاك يقضي على الأعداء بسرعة عالية ومثالية.

تعد هذا الرواية الان في العالم في المرتبة الأولى من حيث عدد القراء . وجاء ازدياد الطلب عليها بعد انتشار وباء كورونا المستجد او (كوفيد 19)[10] واذا عدنا الى سبب اختلاف اسم الفايروس والمدينة التي اكتشف فيها وتحولها من مدينة كوركي 400 أو (جوركي) الروسية الى مدينة ووهان الصينية وحمله لاسمها ووهان 400 ربما يعود ذلك لأسباب سياسية وهذا ما يراه جميع من تطرق لموضوع هذه الرواية في مقالاتهم التي تناولت الموازنة بين الفايروسين.

3- رواية الحب في زمن الكوليرا لـ غابرييل غارسيا ماركيز

غابرييل غارسيا ماركيز، روائي وصحفي وناشر وناشط سياسي كولومبي ولد في أراكاتاكا، ماجدالينا في كولومبيا سنة 1927. تحصل على نوبل للآداب سنة 1982. من أهم أعماله "مئة عام من العزلة" وله أيضا

"ذكريات غانيات حزينات" و"خريف البطريرك" روايته موضوع الدراسة التي صدرت عام 1985 تدور حول حب بدأ في سن المراهقة لينتهي بالزواج بعد بلوغهم العقد السابع من أعمارهم ففي نهاية قرن التاسع عشر الماضي وبداية القرن العشرين، يحاول الروائي ان يضعنا في زمن الحروب والأوبئة، في زمن يصحو فيه مجتمعه من بعد سبات القرون الوسطى ليشاهد إنجازات العلم وتقدمه في القرن العشرين وانعكاسات هذا الإنجازات على الصعيد الاجتماعي والإنساني.

وماركيز يعالج في روايته الحب المحاصر بالحروب الاهلية والاوبئة وقد استوحى فكرة روايته من قصة حب بين أمه وأبيه ثم أضاف لها حبكة بقصة قرأها في الصحف عن حب كان بين عجوزين وانتهى نهاية مأساوية ذكرها في روايته[11].

رواية الحب في زمن الكوليرا غنية بالسرد وفنونه التي جعلت منها متميزة في كل شيء، تتحدث عن شاب في الثامنة عشرة من عمره اسمه فلورينتيو تعرف على فتاة تدعى فيرمينا بمحض الصدفة، فلورينتيو الموظف في دائرة البريد كان محط اعجاب الفتيات، فهو الأكثر شهرة في الوسط الاجتماعي لذلك عاش مغامرات كثيرة مع فتيات المدينة ليعتزل كل ذلك بعد تعرفه فيرمينا[12].

ربما صدفة جمعته بها عندما أوصل برقية الى شخص بلا عنوان اسمه لورينثو داثا والد فيرمينا، جمعته نظرة ساحرة لصبية وهو يمر عبر النافذة عندما كانت تجالس امراة مسنة تقرآن في كتاب، هذه النظرة العابرة اشلت تفكيره فلورنتينو وجعلت قلبه ينسى كل الفتيات ويتعلق بها ويولد داخله حب لم ينته بعد مرور خمسة عقود من الزمن تقريبا[13].

كانت حياة العاشقين خالية من المفاجات تمثل حبا مثاليا مستقرا لأعوام، كان خلالها يتبادلان الرسائل الغرامية ووعود الوفاء والبقاء على عهود الزواج، الى ان علم الاب بعلاقة ابنته فتحولت حياة العاشقين الى جحيم وخاصة بعد قرار الاب المغادرة من المدينة الى الابد هبا من العار الذي الحقته به ابنته المتمردة، ومحاولة إيجاد زوج مناسب لها، وهنا يحاول ان يعكس لنا ماركيز في سرد صرامة الجل اللاتيني في الحفاظ على عرضه[14].

ان سرعة الاحداث في الرواية وزواج فيرمينا من الطبيب الارستقراطي خوفينال اوربنيو صاحب الشهرة الواسعة بالمدينة والمنطقة ، ضغط الاحداث والظروف الاجتماعية للفتاة وقدسية الزواج الكاثوليكي وانجاب الأبناء جعلتها تنسى موظف البريد ذلك المسكين العاشق في مقابل ذلك نجد فلورينتينو يثابر بكل جهد ليصنع لنفسه اسما لامعا ويكوّن ثروة ضخمة تجعله قادرا على استعادة حبيبته من زوجها[15].

في سرد واقعي سحري تتشابك الاحداث بطريقة مشوقة ، يتوفى الطبيب خوفينال اروبينو بعد نصف قرن من الزواج بسبب محاولته الفاشلة للامساك ببغائه الوقحة، فيذهب فلورينتينو الى الجنازة ليقدم بين يدي حبيبته الأبدية عهد الوفاء اذ قال لها: "لقد انتظرت هذه الفرصة لأكثر من نصف قرن لأكرر لك مرة أخرى قسم وفائي الابدي وحبي الدائم"[16].

اثبت ماركيز في روايته ان الحب الحقيقي ينقل الانسان من الظلام الى النور ومن اليأس الى الامل ومن الحزن الى السعادة ومن الضعف الى القوة ومن الفقر الى الغنى، ومن انسان بسيط الفهم الى انسان مفكر ومبدع، وان ما يمر به من ظروف يبقى امل الحب ينير طريقه ويمده باسباب الحياة.

نجح ماركيز في سرده الفريد، ذاك السرد الذي يجمع الواقعية والسحر[17]، الغريب بالعجيب الذي استند على فلسفة العلاقة الغرامية المرتكزة على الأبدية كأساس لها، هذه العلاقة تقوم على الثنائيات الضحك والبكاء، الخوف والأمان ،الحزن و الفرح، الحضور والغياب، الانتصار والهزيمة ليثبت للمتلقي العام –عبر الازمان– بطريقة جميلة ولطيفة وبطريقة واضحة لا غبار عليها ان الحب مستمر في كل الأزمنة، وفي كل الظروف، وفي مراحل العمر كلها، فلا المراهقة ولا سطوة الاب ولا الشيخوخة تمنع الحب الصادق فهو شعور جميل ساحر وسحي بنفس الوقت لا يمكنك الا الضياع والتماهي فيه.

يقول النّاقد المكسيكي إيمانويل كاربايو في تعليقه على الرواية إنه عندما قرأها في نسختها الأولى وجد نفسه أمام واحدة من أعظم الرّوايات في القرن العشرين. ويضيف النّاقد "أن ماركيز بأعماله الرّوائية قد أقام إلى جانب روائيين آخرين أُسس وقواعد الواقعية السحرية في أميركا اللاتينية من خلال تحليله العميق لواقع الإنسان الأميركيّ اللّاتيني ومعالجة الأساطير وتوظيفها بطريقة ذكية"[18].

"الحب في زمن الكوليرا" رواية السحر تبطنها الحية والجنون عي واقعية لدرجة ان يتحول الخيال فيها وكأنه واقعا يتجسد امامنا نلمسه ونتلمسه بايدينا، نجد انفسنا غرقى فيه يخطف عقولنا وقلوبنا من البداية وحتى النهاية.

في هذه الرواية الجميلة كل شيئ ممكن الحدوث حتى المستحيل ممكن الحدوث فهو يغدو ممكنا وكأنك تقول ان هذه القصة قصة حب حقيقية جمعت شخصين كتب عليهما الفراق لكنهما احبا بعضهما بطريقة ما، عاشا بعيدين لكنهما اجتمعا متاخرين . الرواية قامت على دائين مختلفين فداء الكوليرا يفرق المحبين وداء الحب يجمعهم هذه هي رواية الحب في زمن الكوليرا.

الخاتمة والنتائج

في صراع الحياة اليومي وما يتنبئ به العلماء والمفكرون من انهيار للحضارة الحالية ومنذ ثمانينيات القرن المنصرم والحروب النووية وثقب الامزون والأزمات الاقتصادية والثورات الشعبية والحروب العسكرية كلها كانت تتحدث عن نهاية العالم وكما صورتها السينما الهوليودية، لكن العالم لم ينهار حتى بدات احاديث علمية وتوقعات فلكية عن انهيار العالم بايلوجيا حيث تظهر فايروسات تقضي على البشرية، وهذا الفايروس غير مرئي يداهم البيوت والمدائن ولا يخلف سوى جثث الموتى والرعب حتى يتحول هذا الرعب الى قاسم مشترك للعالم اجمع فتتساوى عنده الأمم فيعدل بين الغني والفقير والقوي والضعيف والمتقدم والمتاخر تكنولوجيا.

لم تكن هذه الفايروسات من احاديث العلماء فقط وانما ظهرت أيضا على السنة الأدباء في ادابهم والرواية انموذجا لها.فأخذ بعضهم يتحدث عن وباء وحرب جرثومية تشنها دول امبريالية عالمية ضد الشعوب ودول أخرى من اجل إعادة بناء النظام العالمي الراسمالي الجديد ووضع خطط واجندات جديدة تخدم مصالحهم الاقتصادية، فكانت الرواية كفن مسكن لكثير من هذه الاوجاع وصوت لأؤلئك الموتى الذين اصمت الامبريالية اذانها لهم.

الهدف من ظهور ادب الأوبئة لم يكن مقصورا على تتبع وتحليل أسباب ظهور وانتشارها ووان كان فهو ليس الهدف الرئيس من اهداف الأدب.

فالأدب عموما والرواية والقصة خاصة هما وسيلة للتذكير بان العقل الإنساني ما زال ولا يزال موجودا، فالأدب عملية اصلاح وتوعية وارشاد لمواجهة الامراض والاوبئة.

ان قابل الأيام وقادمها يحمل الكثير من الروايات والقصص التي تتحدث بواقعية كبيرة قصص ابطالها حقيقيون عاشوا وتعايشوا مع هذه الجائحة (كوفيد 19) وما رافقها وصاحبها من موافق إنسانية مؤلمة واليمة ومواقف أخرى وصف بالبطولية والشجاعة للجيوش البيضاء التي كانت خط الدفاع والصد الأول التي تصدت بارواحها لتنقذ البشرية جمعاء.

الهوامش

(1) سياسية الأدب: جاك رنسيير، ترجمة د. رضوان ظاظا، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010م، ص.15.

(2) ينظر العبث واللامعقول في رواية الغريب لالبير كامو: رسالة ماجستير /جامعة اكلي محند اولحاج/ كلية الاداب واللغات 2015-2016 ص51-52.

(3) ينظر نفسه ص53.

(4) الثقافة والامبريالية: ادورد سعيد، ترجمة، تحقيق: كمال أبو ديب، دار الآداب 2014 ص175.

(5) ينظر الطاعون، ألبير كامو، ترجمة د. سهيل إدريس، بيروت، دار الآداب، 1981م، ص5-19.

(6) ينظر نفسه ص 35-44.

(7) ينظر نفسه ص301.

(8) ينظر عيون الظلام: دين كونتز، ترجمة صبة جابري 2020م، ص5-30.

(9) ينظر عيون الظلام: ص 265-269.

وينظر: Afterword for The Eyes of Darkness Koontz, Dean (2008) صفحات: 374–369

(10) يمكنك زيارة موقع منظمة الصحة العالمية لاطلاع على اعراض كوفيد19، وعلى الرابط :
https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public/q-a-coronaviruses

(11) ينظر سيرة حياة غابرييل غارسيا ماركيز: جيرالد مارتن، ترجمة محمد درويش، الدار العربية للعلوم، 2010م، ص9-11

(12) ينظر رواية الحب في زمن الكوليرا / غابريل غارسيا ماركيز ، ترجمة صالح علماني: مؤسسة المدى.

(13) ينظر نفسه ص34.

(14) ينظر نفسه ص 42.

(15) ينظر نفسه ص 98.

(16) نفسه ص115.

(17) ينظر في الواقعية السحرية : الدكتور حامد أبو احمد، ص 261-271.

(18) نفسه المقدمة ص4.